

الخطبة الثامنة والستون

﴿صَبَّغَةَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: 2 / 138]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله.
وبعد:

قال تعالى: ﴿صَبَّغَةَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: 2 / 138]، وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: 3 / 83]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 33 / 9].

إن من دعائم الإيمان وأسس الإسلام الثقة بالله عز وجل، الثقة من الإيمان. والثقة بالله هي أن تُصدِّق الله فيما يقول، وتؤمن به وبصفاته وأسمائه، وأن تحب الله تعالى وتحب ما يحبه الله تعالى، وتكره ما يكرهه الله تعالى. الثقة بالله والثقة برسول الله ﷺ والثقة بمنهج الله، ودين الله، وصبغة الله، وهدى الله، وشريعة الله، ونظام الله سبحانه، تؤمن إيماناً جازماً لا مجال للشك فيه ولا مجال للريبة، تؤمن برسوله بأنه المبلغ عن الله وأن ما جاء به رسول الله ﷺ حق وصدق بما أخبر به ووعد به ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، إيماناً وصدقاً وثقة، لا مجال للشك ولا للريبة فيها. وأن تحب رسول الله ﷺ محبة خالصة لا يشاركه في هذه المحبة والد ولا ولد ولا زوجة ولا مال ولا حياة. قال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه». رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن هشام، وقال ﷺ: «والله لا يكون أحدكم مؤمناً حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده» الحاكم عن فاطمة بنت عتبة.

ومحبة الله تعالى ومحبة رسول الله ﷺ تقتضي اتباعه فيما أمر والتمسك بسنته، والثقة التامة المطلقة بأن ما جاء من الله ومن رسول الله ﷺ هو الأحسن وهو الأكمل وهو الصحيح وهو الأفضل وهو الخير كله ولا خير في غيره، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣١) ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ (٣٢) [آل عمران: 31-32]، قال سبحانه: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ يعني: عن طاعة الله ورسوله ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾، أي: من لم يُطِعِ الله ورسوله فهو من الكافرين، قضية عقدية بأن نثق بالله وبرسوله وبالمنهج. فهل نثق بمنهج الله تعالى؟ هل نصدق شريعة الله تعالى؟ هل نعتقد بأنه لا يوجد نظام ولا منهج على الحق غير نظام الله تعالى؟ هل نثق بأن كل ما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ هو الخير وهو الحق وهو الصدق بدون أدنى شك؟ إذا كنا ندعي هذا، فلماذا نخجل من ديننا؟ لماذا لا نصرح به؟ لماذا لا نصدق به؟ لماذا نخاف المواجهة؟ لماذا نسلك مسلك الدبلوماسيين في التعرض لأحكام ديننا؟ لماذا؟ قل لي بربك أتخجل من دينك؟ أتخجل من تعاليم ربك ومن تعاليم رسولك؟ أم ماذا؟ أم أننا أساساً لسنا على ثقة تامة من صدق وحقيقة ما جاء به الشرع؟ نحن نثق بالله وبرسوله وبالمنهج ونحن نواجه الناس فنقول: ﴿ صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْكَ اللَّهُ صَبَّغَهُ وَنَحْنُ لَهُ عِبِيدُونَ ﴾ [البقرة: 2 / 138].

1. عندما قال الإسلام: لا رهبانية وأعلنها صريحة وأعلنها قانوناً، ماذا فعل القساوسة والرهبان في الكنيسة الكاثوليكية؟ وهل الفضائح الجنسية ومعاشرة الأولاد والقُصْر من قِبَل القساوسة التي عمت الصحف والأخبار بخافية على أحد؟ من الذي يجب عليه أن يخجل؟ ومن على الحق؟ ومن هو صاحب المنهج السوي؟ ومن الذي يجب عليه أن يصدق بقوله تعالى ويتحدى: ﴿ صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْكَ اللَّهُ صَبَّغَهُ وَنَحْنُ لَهُ عِبِيدُونَ ﴾ [البقرة: 2 / 138]؟

2. عندما سمح الإسلام بالزواج من أربع، قالوا: لا، ونادوا بأن هذا إجحاف في حق المرأة، وقالوا: هذا رجعية. أما أن يتزوج بواحدة، ويصاحب واحدة ويواعد

أخرى، ويخرج مع السكرتيرة، فإن هذا تقدم وحضارة وإعطاء المرأة مكانتها وحققها!! بالله عليك!!! أيهما على الحق منهج الله أم منهجهم؟ ﴿صَبَّغَةَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبَّغَهُ وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ [البقرة: 2 / 138].

3. عندما قال الإسلام للمرأة: تحجبي. نادوا وقالوا: ما هذا إلا كبت للحريات! وهل النساء درجة ثانية في المجتمع حتى نَحْجُرَ عليها؟ وقامت الدنيا وما قعدت، ونادوا بحرية المرأة، حرية المرأة ممن؟ بالله عليك حرية المرأة ممن؟ جملة ناقصة. حرية المرأة في أن تكون سلعة بين أيدي الرجال؟ حرية المرأة في نسبة الطلاق التي تجاوزت كل الإحصائيات؟ هل هذا هو الحق؟ هل هذا ما تريده المرأة؟ أين الحق؟ وأين حماية المرأة وأين صونها وأين رعايتها؟! في ظل الإسلام وفي منهج الإسلام فقط. ﴿صَبَّغَةَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبَّغَهُ وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ [البقرة: 2 / 138].

4. عندما قال الإسلام عن القمار: إنه حرام؛ قالوا: لماذا؟ لقد ازدادت نسبة العمالة، وانخفضت البطالة. وفتح باب للاستثمار وتنشيط الاقتصاد. وزادت موارد الدولة! كذب والله... هراء والله... خداع والله... لقد زادت نسبة الطلاق لوقوع الخلاف بين الزوجين لأن الرجل قامر وخسر، أو لأن الزوجة قامرت وخسرت، لقد ازدادت نسبة الإفلاس لأن الرجل قامر بقسط بيته، وزادت الأمراض النفسية وازدادت الاضطرابات العصبية، والدولة تدفع للمشافي وللدواء، وازدادت السرقة، وازدادت المخدرات والدخان، أي نظام هذا؟! وأي قانون هذا؟! فالقانون يحمي محلات القمار! لأن الآلات والمعدات كلها محسوبة لتضمن ربحاً ثابتاً، فالآلات والمعدات مبرمجة بأن تحتفظ بنسبة من كل دولار يدخل عليها، فإذا ربحت فإنك تربح من خسارة الآخرين وليس من المحل! أهذا في صالح الأمة؟ أهذا يبني مستقبل الناس؟ أم أن منهج الله وشريعته هي الحق، منهج خالق البشر، وهل هناك أعلم من الخالق بخلقه؟ ﴿صَبَّغَةَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبَّغَهُ وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ [البقرة: 2 / 138].

5. عندما حرم الإسلام لحم الجلالة اعترض الناس وتساءلوا عن سبب تحريمها: حتى الله يتدخل في أكل الحيوان؟ نعم، والجلالة هي الحيوان الذي في أصله يأكل الحب والعشب، لكن إذا تغذى على البروتين الحيواني فيصبح اسمه الجلالة، وهي أكثر ما يعرف بالدجاج إذا أكل الدود، فإن الإسلام يمنع أكله. فقد أمر عليه الصلاة والسلام بأن تحبس أياماً على الحب والعشب حتى تنظف، لماذا؟ لا ندري لماذا، ولكننا ندري بأن منهج الله ورسوله هو المنهج الحق، وما أمر الله ورسوله هو في صالحنا وهو الحق، ولكنهم قالوا: لا، وأطعموا الحيوانات والأبقار والأغنام والدجاج علفاً فيه بروتينات حيوانية، وخالفوا سنة الله في خلقه وخالفوا شرع الله في أمره. ماذا حصل؟ جنون البقر وإتلاف الآلاف من الأبقار والأغنام والدجاج، وأمراض وسرطانات لا يعلم بها إلا الله، فهل من معتبر؟! ﴿ صَبَغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْكَ اللَّهُ صَبَغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴾ [البقرة: 2 / 138].

6. عندما قال الإسلام: لا ربا. قام الشرق والغرب، وجندوا الخبراء والعلماء لدحض فكرة الإسلام عن الربا، وكان الحق سبحانه واضحاً وضوح الشمس في تحريمه للربا: قال تعالى: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: 2 / 278]، وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة: 2 / 275]، واشتروا ضمائر بعض المسلمين البارزين، وقاموا بتحليلات بأن هناك فرق بين الربا الاستهلاكي وبين الربا الاستثماري، وصاروا يلفون ويدورون ويلوون النصوص ويتلاعبون بالعقول والأفكار، قاتلهم الله أنى يؤفكون، من يحلل ما حرم الله تعالى فقد كفر بعد إقامة الحجة عليه. ألا تراهم يتخبطون؟ ألا تراهم يتتحررون؟ ألا تراهم في كل واد يهيمون ويقومون ولا يقعدون؟ والإفلاس حليفهم والخسارات في بنوكهم وحكوماتهم، وهذا كلام الساعة ولا منجى وملجأ إلا إلى الله وإلى منهج الله: ﴿ صَبَغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْكَ اللَّهُ صَبَغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴾ [البقرة: 2 / 138].

هل تثق بالله يا أخي؟ هل تثق بمنهج الله وشريعته؟ هل عندك أدنى شك؟ تعلم دينك، تعلم شرعك، فوالله لا ترى إلا الحق، ووالله ستتولد لديك ثقة بالله ما بعدها ثقة، انظر إلى الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، انظر إلى خلق الإنسان وتكوينه وكلام الله فيه، انظر إلى جميع ما في القرآن ترى العجب العجاب، انظر في حديث رسول الله ﷺ فوالله لا ترى إلا الحق والصدق.

روى الإمام أحمد بسند صحيح: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه كان يكتب كل ما يقوله رسول الله ﷺ، قال: فنهتني قريش وقالت: إن رسول الله ﷺ يتكلم في الغضب والرضا! فقال عبد الله بن عمرو: فذكرت لرسول الله ﷺ مقالة قريش، فقال عليه الصلاة والسلام: اكتب يا عبد الله، وأشار إلى فمه الشريف وقال: «فوالله لا يخرج منه إلا الحق». وفي رواية: «والذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق». هل تثق في رسولك ﷺ؟ فوالله ما يقول إلا الحق وقد وثقه ربه سبحانه وتعالى فقال: ﴿وَمَا يَطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ (٤)﴾ [النجم: 53 / 3-4]، ديننا حق وضعه رب السموات والأرض، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: 140 / 2].

- * ديننا أكمله ورضيه رب السموات والأرض، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3 / 5].
- * ديننا وكتابنا وشريعتنا لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۗ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 41 / 42].
- * ديننا مؤيد من الله تعالى ولا يمكن أن يُغلب، وأعاد ربنا التوكيد في القرآن ثلاث مرات، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۗ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 9 / 33] - [الفتح: 48 / 28] - [الصف: 61 / 9]؛ ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 9 / 33] - [الصف: 61 / 9]، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: 48 / 28].

عدم علمنا بالله وعدم استيعابنا لديننا ولرب السموات والأرض هو المصيبة في عدم وجود الثقة التامة الكاملة بالله وبشرعه، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 6 / 91]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67 / 39]، جهلنا بالله وبشرعه ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ لأننا لم نع الحكمة في قرآنه، ولم نع الإعجاز؛ والذي هو برهان لنا كي نؤمن، ولم نعلم قدرة الله تعالى، ولا سطوته سبحانه وتملكه لكل شيء، فالأرض قبضته، والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى، هل نعي هذا؟ لو وعيناه وفهمنا ونظرنا في آياته في السموات والأرض لآمنا ولوثقنا ولكان الشك والحيرة والتردد قد انتفى من قلوبنا.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠١) ﴿يونس: 10 / 101﴾، الله مالك كل شيء والله قادر على كل شيء، وبيده مفاتيح كل شيء، وله خزائن كل شيء، قال تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٦٣) ﴿قُلْ أَغْوَى اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (٦٤) ﴿الزمر: 39 / 63-64﴾، وقال تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٣) ﴿الشورى: 42 / 12﴾ قال عليه الصلاة والسلام: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟» متفق عليه من رواية أبي هريرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

